حركة الإخوان في الوثائق البريطانية

ترجمة وتحقيق أ.م.د مؤيد عاصي سلمان أ.د صالح محمد حاتم

جامعة مبسان كلية التربية قسم التاريخ

المقدمة

شغلت الحركات السلفية ، التي حملت أفكار تجديدية إسلامية ، حيزاً من مسار الأحداث التاريخية للمنطقة العربية والإسلامية بجانبيها الشرقي والغربي ، بل وأسهمت بشكل أو بآخر في تغيير مجرى هذه الأحداث ، وطبيعة المجتمعات التي عاشت حيثياتها وإرهاصاتها ، كما وكشفت النقاب عن مدى تأثير الجوانب الروحية على الرأي العام وتحريكه من قبل قادة هذه الحركات بالاتجاه الذي يحقق أهدافهم وطموحاتهم الروحية أو السياسية ، مثلما حصل هذا مع الحركة السنوسية في ليبيا والمهدية في السودان ، والوهابية في الجزيرة العربية. مما أستقطب هذا الأمر اهتمام المؤرخين والكتاب والباحثين العرب والأجانب الذين عاصروا هذه الحركات وعاشوا أحداثها وتعرفوا على شخوصها أو الذين جاءوا بعدهم ، فجادت أقلامهم بالكثير من التفاصيل عن هذه الحركات والدور الذي أدته في المنطقة العربية بوقوفها ضد الغزاة المستعمرين ، أو لتحقيق مآرب سياسية مستغلة حالة التشرذم التي كانت تعيشها الأمة العربية في ظل الاحتلال العثماني. وضمن هذا السياق وردت بعض التقارير والمذكرات التي دونها الجواسيس أو القناصل والمقيمين السياسيين الذين ارتادوا المنطقة أو أقاموا فيها فكان من بين هذه الكتابات التي وقعت تحت أيدينا ((مذكرات الجاسوس البريطاني همفر في البلاد الإسلامية)) الذي تطرق إلى الحركة الوهابية وحياة زعيمها محمد بن عبد الوهاب ، وكذلك مذكرة بعنوان ((ملاحظات حول حركة الإخوان)) للمقدم _(ديكسن) وهي موضوع دراستنا والتي جاءت بشيء من التفصيل عن حركة الإخوان والتي هي وريثة الوهابية وحاملة أفكارها ، بل إنها الجناح العسكري لها ، والتي من خلالها تمكن آل سعود من تكوين دولتهم المنشودة ، وقد وجدنا من المفيد ترجمة هذه المذكرة وتحقيقها لأماطت اللثام عن تاريخ هذه الحركة وظروف نشأتها وتطورها خدمة للبحث والحقيقة العلمية ، وفسح المجال أمام الباحثين والآخرين المهتمين بتاريخ المنطقة للإفادة منها. وليوفقنا الله جميعاً لخدمة تاريخ أمتنا.حركة الإخوان في الوثائق البريطانية[1]

نظرة عامة (توطئة) السلطات أو الصلاحيات

أثناء زيارتي الأخيرة إلى الإحساء لمقابلة ابن سعود [2] خلال المدة 9 كانون الثاني -20 شباط 1920 ، والتي ذهبت فيها على مضض لجس نبض هذا الرجل ، والتعرف بصورة اكبر على حركة الإخوان ، وجدت هذه المهمة محفوفة بالصعوبات ، إذ إن استفساراتي وتساؤلاتي كانت تثير الشك ، وينظر إليها من قبل الآخرين بالريبة وعدم الاطمئنان.

وقد اتضح لي تماماً إن الناس في هذه المنطقة تم تزويدهم بفكرة ، ولو كانت واهية ، من قبل شخص ما أو آخر في السلطة ، بتقديم أقل ما يمكن من المعلومات لمن يسألهم. وهنا لا يستطيع المرء إلا أن يستنتج إن ابن سعود نفسه هو المسؤول الأول وراء هذا الغموض في المسألة. وبهذا الشأن اعتقد انه قد اصدر تعليمات عامة إلى أصحابه بإفشاء اقل ما يمكن عن هذه الحركة الجديدة إلى الأجانب. ولعل السبب في ذلك ليس بعيداً عن متناول اليد ، إذ كما يبدو أن ابن سعود ، أولاً : قد أصابه الذعر لمعرفة العالم الخارجي بهذا الحركة الجديدة ، وثانياً : إن ابن سعود قد تضايق من مثل هذه الطريقة في الإعلان التي أظهرت فيها التقارير الشاذة والمبالغ فيها بشأن مجريات الأمور عن حركة الإخوان ، وثالثاً : انه أدرك بان هذه الحركة كان ينظر إليها من قبل بعض الأطراف بعدم الثقة والخوف والخشية الزائدة ، وانه يشجع ويوجه الحركة لمصالحه وأهدافه الخاصة [3].وان أكثر المعلومات المفيدة التي تمكنت من جمعها ، كان مصدرها الأشخاص التالية أسماؤهم :-

1. ابن سعود نفسه في محادثات عامة — Bin saud
2. عبد العزيز القصيبي — Abdul aziz Al Qusaibi
3. فؤاد البسام — Fahad AL Bassam
4. سليمان الهواز — Sulaiman AL Hawwas
5. إبراهيم بن جمعة — Ibrahim bin Juma الخادم الخاص بابن سعود (الشمري) الذي أوصل السيد فلبي إلى جده.

(تجارة من الإحساء)

6. أفراد الحرس الشخصي التابعين لي ، والذين وضعوا تحت تصرفي إثناء مدة إقامتي في الإحساء.
7. محمد أفندي (كردي) — Muhammad Effendi وهو مسؤول الحسابات عند ابن جلوي في الإحساء.
8. عضو في الإخوان ، والذي استطعت كسب وده في منطقة (جيشا) Jishah ، وقد زارني بعد حلول الظلام خمس مرات في أقل تقدير. وكان أفضل المخبرين لدي [4].

طبيعة الحركة

بصورة عامة ، ومن خلال الأمور التي رأيتها وسمعتها ، تأكد لي شيء واحد ، هو أن حركة الإخوان هي حركة دينية تجديدية ، أصيلة ، وهي محاولة من قبل أناس وسط شبه

الجزيرة العربية لتحسين أوضاعهم من الناحيتين الدينية والعقلية ، وبشكل خاص هذه الحركة كانت تهدف إلى تطهير الدين الإسلامي من كل الشوائب والأدران التي لحق به نتيجة للاتصال بما يدعى بالنفوذ الأوربي ، وما جره هذا النفوذ ونتائجه من الويلات.

ومهما يكن من أمر تأثير هذه الحركة على عقلية وأفكار ابن سعود وطموحاته ، فقد أثارت بلا شك الحماس الشديد والرغبة لدى جموع الناس لتحسين حياتهم. وتضم حركة الإخوان في الأساس الطبقات التي يسودها الجهل والأمية كقبائل البدو في نجد والبقاع المجاورة. أما الطبقات الأكثر ثقافة مثل سكان المدن والتجار ، فأنهم يعتنقون المذهب الأصولي تقريباً [5]. وعلى الرغم من أن سكان المدن لا يتفقون مع بعض معتقدات الإخوان ، وخاصة مسألة التعصب ، بيد إنهم يعدون هذه الحركة هبة من الله ، وإنها حالة مفضلة بشكل قاطع على ما كان سائداً لدى البدو سابقاً من جهل مطبق وعبادة للأصنام.

وفي الحقيقة أن أصل الحركة كان قد أخذ شكلاً من العصبية والتطرف ، إلا إن توجهات وإرشادات الأمام [6] ابن سعود الحاذقة ، وأحكام قبضته عليها – على الحركة – قد أدى إلى تخيلها عن الكثير من التعصب البغيض الغير معقول ، وقيام أعضاؤها بتكريس أنفسهم إلى الارتقاء الذاتي والسمو الشخصي والصلاة. أما في السابق كان جل تفكيرهم هم منصبا على الإكراه في تغيير المعتقد الديني ، والتدخل في شؤون الآخرين.

وما تجدر الإشارة إليه ، انه في المراحل الأولى لظهور الإخوان في شوارع الهفوف (عاصمة الإحساء) كانوا يشرعون بضرب النساء اللواتي يتواجدن في الشارع ، ويطلقون النار عن سبق إصرار ودون اكتراث على الكثير من المواطنين الذين لم يرتكبوا إثماً سوى التدخين في الشوارع. وإزاء تلك التصرفات كان ابن سعود وابن جلوي أمير الإحساء[7] يطلقون النار على بعض الإخوان ليرتد هؤلاء إلى رشدهم. ولكن الأمور أخذت في الآونة الأخيرة تتغير بدرجة هائلة ، واستطاع كل من ابن سعود وضباطه من السيطرة على أعضاء الحركة وكبح جماحهم. وكانت الطريقة الوحيدة الممكنة لخروج هذه الحركة عن جادة الصواب ، وجنوحها مرة أخرى عن الطريق هو ظهور بعض الإساءات العميقة ذات الطبيعة الدينية.

لوحظ في الآونة الأخيرة بعض حالات تتمثل بعدم السماح للنجديين (يقصد الإخوان) بالذهاب إلى مكة ، فكان على الحكومة (يقصد ابن سعود) أن تأخذ أسلوباً سلمياً بهذا الشأن لئلا تتجمع سحب العواصف في الأفق [8]. وكان هذا هو الشيء الوحيد الذي يقلق ابن سعود حالياً في تعامله مع الإخوان ، وهو قلق نحو المستقبل. وكانت الدعوات المتكررة له (يقصد ابن سعود) والموجهة لي بهدف تحذير حكومة جلالة الملك (الحكومة البريطانية) حول الشعور الطاغي الذي يسري في نجد ، هي إشارة واضحة لحالة ابن سعود العقيلة والروحية.

وبشكل عام يمكن اعتبار حركة الإخوان تجديداً أو أحياء للوهابية. وبهذا الشأن لا يمكن اعتبار إحياء المدرسة السلفية للسنة ، التي أنشأها الإمام احمد (يقصد احمد بن حنبل) من الأمور الإلحادية ، بل يمكن اعتبارها حركة تقشفية ضمن نطاق الإسلام [9]. وكما ذكرت سابقاً يمكن أن يقال أن هذه الحركة قد أثرت في الوقت الحاضر بصورة رئيسية على البدو القاطنين في وسط شبه الجزيرة العربية قياساً بسكان المدن الأكثر تحضراً. ويترأس هذه الحركة ابن سعود بنفسه. فعندما كنت اسأله في بعض الأحيان عن (الإخوان) كان يقول إني أنا (الإخوان). كما قال لي بن سعود إن (الإخوان) هم أنفسهم (الوهابيون) ، والآن تعد الوهابية أو الإخوانية – من وجهة نظر بن سعود – من أنقى الأديان في العالم ، حيث ينتشر أعضاؤها في كل أنحاء وسط شبه الجزيرة العربية. ويرى ابن سعود إن الحملة التي قادها إبراهيم باشا من مصر ضد الوهابيين عام 1817 بأمر من السلطان (يقصد السلطان العثماني) لا تعد بحد ذاتها نتيجة لتأثير الدين في نجد. إذ أن ظهور الوهابية يُعد اهانة شخصية للسلطنة في تركيا ، وتجسد هذا بما قام به أمير نجد بإرجاع القافلة عن المدينة [10]. وعلى أية حال فقد اعتبرت الوهابية آنذاك بالنسبة للأتراك حركة سياسية ، وأنها تشكل خطراً على العقيدة الإسلامية الأصولية. وكما بينا كانت نتيجة الحملة التي وجهها إبراهيم باشا إلى نجد عام 1817 م وهي تخريب الدرعية (العاصمة) وإلقاء القبض على الأمير عبد الله وإرساله إلى القاهرة في مصر. وقد ساعد هذا الأمر على سحق الوهابية لمدة ما وجعل نجد منطقة آمنة ، وتقليل خطرها على الدعوة الإسلامية الأصولية. وعلى الرغم من ذلك فقد ظلت الوهابية متواجدة في نجد وأطراف عمان ، والساحل الاحسائي ، وغيرها من المناطق الأخرى ، وكانت ذات طبيعة مسالمة وليست عدائية.

نبذة تاريخية عن الإخوان

من الصعوبة بمكان تحديد التاريخ الحقيقي لنهوض الإخوان من جديد. ومن المؤكد أن مصطلح الإخوان[11] كان مجهولاً من الناحية العملية إلى ما قبل خمس سنوات. وصار من المؤكد أيضاً أن الأعضاء المعدودين للطائفة في مدينة (ارطاوية)[12] ، انه على الرغم من قلتهم كانوا دائماً يشكلون منطقة متعصبة ، وقد أدوا دوراً بارزاً في استعادة نجد عام 1902 م بقيادة أمامهم الحالي عبد العزيز. وبعد سنة من استعادة ابن سعود للإحساء من الأتراك عام 1913م أخذت حركة الإخوان تلفت انتباهه (عام 1914م).

وفي عام 1915م أخذت هذه الحركة بصورة عامة بالتوسع والانتشار بشكل يثير الذعر ، مما جعل ابن سعود منذ ذلك الوقت يقرر الاعتماد عليها لتعزيز وتثبيت مركزه في نجد والمناطق الأخرى التي كانت تحت سيطرته.

وفي الوقت الحاضر يعد الشيخ عبد الكريم المغربي Abdul Karim Al-mughrabi (الزعيم الديني) لحركة الإخوان ، والذي جاء خلفاً للمرحوم فالح باشا السعدون Palih pasha Al sadun (شيخ المنتفك) الذي كان يشغل هذا المنصب في وقت سابق ، وأصبح فيما بعد عالم (عالم ديني) عند مزعل باشا Mizal pasha والد إبراهيم بيك السعدون الحالي. وثم ترك خدمة الأخير متوجهاً إلى نجد حيث مكث فيها ، ووطد لنفسه مركز (عالم ديني) في مدينة ارطاوية ، التي كانت عشاً صغيراً للوهابيين. وتجدر الإشارة هنا إلى قصة تفيد أن مزعل باشا عندما ذهب في عام 1099 إلى مكة رجع منها باتجاه نجد ، وبطريقة زار ارطاوية ، وبدلاً من الترحيب الذي كان يتوقع أن يلقاه من صديقه القديم عبد الكريم المغربي سعى الأخير إلى طرده بخشونة ، وناعتاً إياه بالكفر والشرك [13] ، وكان أيضاً من بين الزعماء الدينيين الآخرين لحركة الإخوان هم ابن عبد اللطيف Ibn Abdul Latif قاضي الرياض ، والشيخ عيسى Shaik Isa قاضي الإحساء.

ومما لاشك فيه أن حاكم نجد حالياً عبد العزيز قد اضطر إلى تبني حركة الإخوان والارتباط بها ، بل أصبح زعيماً لها. ولعل كان يريد في بداية الأمر من استخدام الحركة لتعزيز مركزه أولاً ، إلا انه في النهاية وجد نفسه مضطراً إلى نشر أفكارها ومبادئها خشية من اضطراره إلى الخضوع لها. ويبدو أن ابن سعود قد وجد إن حركة الإخوان أخذت تسيطر بصورة فعلية على شؤون نجد في عامي 1915 و 1916 م ، وكان عليه أن يختار بين سحق حركة الإخوان أو أن يصبح زعيماً لها وحاكماً لهذا النوع الجديد من الوهابية. فاتخذ القرار الأخير لكونه لا يميل للمجازفة [14]. ولكونه استطاع تبني هذه الدعوة ، فقد رأى انه من الضروري أن يضع أعضاء العقيدة الجديدة تحت سيطرته ، إذ أن هناك خطر على جنوح هذه الحركة وهياجها تجاه الحجاج في مكة والعراق أيضاً. ولهذا أصدر أمره الشهير في عام 1916 م المتضمن إن كل البدو في نجد وشبه الجزيرة العربية يجب أن ينضموا إلى الحركة – حركة الإخوان – وان يدفعوا له الزكاة اعترافاً منهم بزعامته. إلا إن هذا الأمر أدى إلى صراع كبير ، بل وكان أحد الأسباب التي أدت إلى قبائل (عجمان) لمقاومته في الإحساء عام 1915م. ويمكن القول إن ابن سعود كان قد اشتبك في سلسلة من الحروب المستمرة بين 1916 و 1917 م مع القبائل المتمردة ، ولهذا لم يزر الرياض في هذه المدة إلا نادراً ليأخذ قسطاً من الراحة. وفي عام 1918م أجبر ابن سعود كل البدو في نجد عدا (عجمان) تبني مذهب (الإخوان) واعتباره إماماً لهم. ولأجل ضبط سلوك وتصرف هذه القبائل ووضعها تحت سيطرته قام ابن سعود بتحريض زعماء الدين على إصدار (فتوى) تحث الإخوان على فلاحة الأرض وبناء المدة [15] ، واعتبار هذا الأمر من الفروض الملزمة من الناحية الدينية ، وذلك لضمان عزلهم عن فئة الجهلة (البدو) الذي لا يعتنقون مذهب الإخوان ، وقد استجيب لهذا الأمر الصادر بحماس شديد في أكثر الحالات[16].

وقد أخبرني ابن سعود سابقاً إن ثلاث وخمسين مدينة جديدة في نجد دخلت هذه الحركة خلال الأربع سنوات الأخيرة ، وانه أستطاع من إدارة الحركة خطوة بعد أخرى بمهارة فائقة ، إذ انه أبدى عبقرية متميزة في وضع خطته وبرنامجه دون رفع شعبه إلى الغربة ، وإدخالهم في متاهات ، بل انه على النقيض من ذلك ، إذ استطاع أن يبث فيهم روح الحماس المدهش ونشر الدعوة الإخوانية بين البدو. وأصبح الآن الجميع متأهبون بشغف وشوق للانضمام إلى الدعوة. وقد أخذ البدوي يتفاخر بأن يطلق على نفسه لقب (الحضري) و (ساكن المدينة) بدلاً من مصطلح (الجاهل). أن المهارة التي استخدمت في دفع هذه القبائل للانتماء إلى الحركة ، وأجبرتهم على الفلاحة والاستقرار دون تذمر واستياء من هذا التغيير يدلل على أن ابن سعود ليس بالقائد أو الحاكم الاعتيادي ، إي انه منح القبائل الرحل ركيزة في الأرض ، وجعل منهم قبائل مستقرة ، في الوقت نفسه الذي أسبغ فيه على النظام مرونة كافية بالسماح لقسم من كل قبيلة للبقاء في الصحراء خلال سنة لرعاية إبلهم والإشراف على تناسلها. ويقوم ابن سعود بنفسه باختيار مكان كل مدينة جديدة على أساس صعوبة أدارة القبيلة أو العكس من ذلك ، وقد وضعهم بعيداً عن عاصمته الرياض. ولعل هذا هو السبب الذي جعل قبيلة (عجمان) بعيداً عن سيطرته. إذ أنهم كان يدركون تماماً بعزم ابن سعود وتصميمه على إخضاعهم كلياً وبالطريقة التي تروق له [17].

وتأخذ طريقة الإرغام تلك أشكالاً متفاوتة قليلاً أو كثيراً ، إذ أن الشخص الذي يعرف طبيعة البدوي ، فان تلك الطريقة تعد عقوبة قاسية بالنسبة له. وضمن هذا المفهوم ينبغي نقل قبيلة (عجمان) كلها إلى نجد ، وان تمزق وتفتت ، حيث يتم فصل كل فخذ عن أفخاذها الأخرى البالغة عشرون فخذاً ، وتوزع على المدن الجديدة المختلفة التابعة للإخوان ، وبهذه الطريقة يتم قمع أعمالها الشريرة. لقد قال لي ابن سعود نفسه أنهم – يقصد عجمان – أدوا دور الخيانة معه مرتين ، الأولى في حربه مع ابن رشيد قرب منطقة (ماجما) Majma في آذار 1915م ، والمرة الثانية في عام 1916م عندما هاجموه في منطقة الإحساء ، وكادوا التغلب عليه. ومنذ ذلك الوقت أخذوا يتبعون معه سياسة اللين والشدة (المد والجزر). وقد عاش – العجمان – أحياناً في إقليم الكويت ، وأحياناً أخرى قطنوا في المناطق الغربية للزبير. وفي الواقع إنهم استطاعوا تسوية أمورهم مع ابن سعود. وفي الحقيقة ومن خلال نقاشي الأخير مع ابن سعود ، إني شعرت انه يميل إلى تخفيف العقوبة التي لخصت آنفاً ، وهو يدرك بأنه يمكن أو من المحتمل قد تمادى في شدة العقوبة.

ولنعود إلى مسألة نمو حركة الإخوان ، إذ يبدو أن وسائل وطرق ابن سعود ستأخذ الصيغ الآنية في تعامله مع تلك القبيلة (يقصد قبيلة عجمان) غير الراغبة بالانتماء إلى حركة الإخوان. إذ انه سيدعو شيخها ويخبره بعبارات قاسية أن قبيلته لا تملك ديناً ، وان قبيلة برمتها من الجهلة. ثم يأمر شيخها بان يخضع لدورة من التعليم الديني في المدرسة المحلية للإمام الملحقة

بالجامع الكبير في الرياض. وفي الوقت نفسه يرسل ستة علماء يرعاهم بعض الإخوان المتعصبين مثل الدرويش شيخ مضر إلى القبيلة ذاتها نفسه ، يعقد هؤلاء دورات يومية لتعليم الناس أصول الدين الإسلامي وطبيعته البسيطة ، عندئذ سيغمر القبيلة حماس فياض ، لاسيما وان العلماء سيعتنون بصورة خاصة في إثارة النعر التعصبية الكامنة ، والتي تستقر في صدور كل الناس البسطاء والشعوب الساذجة. كما يصر العلماء على أن يلبس كل الأفراد المراد إقناعهم بالمبادئ الجديدة للدين العمامة البيضاء ، وتلقينهم الأفكار الباهرة عن الإمام باعتباره القائد والشيخ والأب الروحي لهم ، وهذه الصفات يجب أن تكون مجتمعة به.

والأعضاء الذين ينضمون إلى الحركة الجديدة يقال لهم بأنهم (أعضاء في الإخوة الجديدة) ، وبذلك ظهرت نفس حركة الإخوان. ويتم اختيار هؤلاء العلماء (الأئمة) من قبل الإمام بعناية فائقة وفق لولائهم إلى الإمام قبل كل شيء. وعندما يعتقد (ابن سعود) إن شيخ القبيلة قد حصل على التعاليم الدينية الكافية ، يطلب منه بناء بيت له في مدينة الرياض ، وان يبقى مكرساً جهده لخدمة الإسلام [18]. ويعد هذا الأمر أيضاً جزءاً لا تجزأ من خطته بالإشراف والسيطرة على الحركة ، فإذا أراد ابن سعود أن يستنفر قرى الإخوان التابعين له ، يتم ذلك بلفظ كلمة واحدة إلى حرسه الخاص فقط بأمر الشيوخ (يقصد شيوخ القبائل) عندئذ يكون البلد في أهبة الاستعداد خلال خمسون ساعة.

الصلاة : للصلاة أهمية كبرى ، إذ أنها جزء لا تجزأ من عقيدة الإخوان ، ويتجسد هذا في إقامة صلاة الجماعة ، حيث تكون حالة مدهشة عندما تتم الدعوة إلى الصلاة من كل الأطراف والجهات ، فتسمع الرجال ينادون (انهض أيها الكسول استيقظ وصلي) ، عندئذ تتشكل مجموعة ، ويتم اختيار القائد (يقصد الإمام) ، وتؤدى الصلاة بطريقة منظمة عسكرية [19]. وإذا كان عدد المصلين كبيراً يصل إلى مئة رجل أو أكثر ، يكون المنظر مؤثراً ومثيراً للانتباه. وأني قد شاهدت حرس ابن سعود البالغ عددهم (500) رجل أو أكثر من الأخوان ، وهو يؤدون فريضة الصلاة ، فأصابني الذهول من الطريقة العسكرية الدقيقة لحركاتهم. ويمكن أن نضيف إلى ذلك المغالاة في الشدة والتعصب التي يبديها المصلين إلى الإمام الذي يأؤمهم في الصلاة ، فيدرك الإنسان في ذلك مدى خطر القوة الكامنة وراء هذه الحركة (يقصد حركة الإخوان) [20].

العقيدة :

1. يضع الأخ نقطتين أمامه قبل كل شيء ، وهما :
أ. عبادة الإله الواحد الأحد.
ب. الإخوة بين كل الأفراد المؤمنين ، وضمن الفقرة (أ) تتطلب العقيدة منه :
1. وحدانية الخالق وعدم الشرك به (وهو يقول لا اله إلا الله).
2. تقديم الزكاة.

3. الصوم في شهر رمضان.
4. الصدقات إلى الفقراء.
5. حج بيت الله الحرام في مكة المكرمة.
6. وضمن الفقرة (ب) تتطلب العقيدة منه :
1. عبادة وتقديس الوطن.
2. الطاعة الضمنية للإمام.
3. مساعدة أخاه من الإخوان في الأزمات المالية أو الأمور الأخرى [21].

2. يجب على الإمام أن يقول إن الله تعالى هو الله ، وان محمد (ص) رسول الله ، غير أن مبدأهم يمنع استعمال أسم الرسول محمد (ص) كشفيع يتوسط لهم عند الله تعالى ، لان الله وهو كل شيء، وهو الشيء الوحيد المعني ، وان الرسول محمد (ص) ما هو إلا شخص مات وذهب وليس له أية أهمية أخرى عدا أن اسمه يجب أن يلفظ باحترام ويحفظ في الذاكرة ، وذلك إجلالاً وإكراماً له [22].
3. أما الزكاة فإنها يجب أن تدفع سنوياً (واحد بالعشرة من الملكية) من قبل كل شخص إلى الإمام ، ويقوم الأخير بتوزيع المال على الفقراء والمحتاجين وفقاً لتصوره. ويجب أن لا يخلط بين الزكاة ، ودفع الفوائد ، والربح ، على الرغم من أن البدوي يجب أن يخلط بين الاثنين.
4. إن ذكر أي اسم آخر مع الله ، يعد ذلك من الخطايا والذنوب الذميمة والمكروهة لدى الإنسان ، وعلى سبيل المثال ذكر اسم الحسن أو الحسين (سبطي الرسول محمد عليهم السلام) ، إذ إن القيام بذلك يعد من مظاهر الشرك ، وان الشخص الذي يفعل ذلك يعد كافراً ، وتصبح حياته وأمواله ونسائه محلل هدرها. وينتمي الشيعة لهذا الصنف من الرجال [23].
5. تقديم القرابين (النذور) كما هو مطبق عادة عند الشيعة ، وبعض السنة يعد من الذنوب الكبيرة القاتلة.
6. يعد بناء القباب فوق قبور الموتى أو الأضرحة من الذنوب ، ولذا يكون واجباً على الإخوان تهديمها إن وجدت [24].
7. يعد التدخين من الذنوب الكبيرة ، لاسيما تدخين الحشيشة والأفيون وغيرها. وإذا شوهد شخص يدخن فسيتعرض للاعتداء وربما القتل من قبل أحد الإخوان. والتدخين ممنوع منعاً باتاً في مملكة ابن سعود برمتها عدا منطقة الإحساء ، إذ يمكن للشخص أن يدخن في خلوة وعلى انفراد. وكذلك يعد شرب الكحول من الأمور الممنوعة ، ويعامل شاربها مثل المدخنين [25].
8. إذا كان احد الإخوان بذمته ديناً ، يخبر زملائه لغرض مساعدته ، فيسعه الآخرون إلى جمع المبلغ اللازم ، وإطفاء الدين فوراً ، وذلك من باب تقديم العون والمساعدة.
9. بعض العادات والعبادات والمعتقدات الأخرى للإخوان :

أ- يعتقد أن الحاضر – من وجهة نظرهم – هي المدة التي تسبق مباشرة ظهور السيد المسيح للمرة الثانية [26].
ب- أن تكون البيوت ذات طابق واحد [27].

ج- يجب تطبيق قاعدة البساطة في العيش والملبس ، إذ إن اغلب الإخوان يمتازون بمظهر مهلهل وخشن.

د- يلبس الإخوان العمامة البيضاء بدلاً من العقال [28] ، وهي رمز الإخوان ، وقد أصدر الأمير (يقصد ابن سعود) حينذاك أوامره بعدم وجوب هذا الأمر (يقصد لبس العمامة) ، إلا إن هذه العادة كانت سائدة ومستمرة بين كل الإخوان الذين اعتنقوا هذه العقيدة. وكل التابعين للإمام الذين شاهدتهم أخيراً كانوا يرتدون العمامة البيضاء. أما الإمام نفسه وحرسه من الزنوج فيرتدون (العقال) ، كما يفعل ذلك الإخوان في حصن (Aaba) في الإحساء ، على الرغم من إنهم اعترفوا لي بأنهم جميعاً من الإخوان الصالحين [29].

ه- لا ترد التحية أو السلام إلا على الإخوان ، وهذه ظاهرة بارزة في منطقة الإحساء. وكان رفاقي المسلمين من البحرين يلقوا التحية بانتظام على الإخوان الذين يقابلوهم في الشوارع ، إلا إني لم أسمع سوى مرة واحدة جواباً على سلامهم وهي (عليكم السلام) وعادة ما يهمل السلام تماماً [30].

و- إذا قابل كافر أو مشرك (يقصد من غير المسلمين) مجموعة من الإخوان في الشوارع ، يقوم الإخوان بتغطية وجوههم بأيدهم لكي – كما يعتقدون – لا يلوثهم منظره. وقوبلت بهذه الطريقة في عدة مناسبات في منطقة الهفوف ، وحتى في داخل بيت الأمير – ابن سعود – نفسه ، من قبل أفراد حرسه الخاص ، إذ كان هذا الأمر من الأشياء المعتادة. بينما كان الأمير يرد على سلامي بحرارة وبانتظام أمام الناس.

ز- وعندما كنت أدخل مجلساً فيه الإخوان ، يقوم هؤلاء كافة بمغادرة المكان.

ح- لا يزال التعصب قائماً لدى بعض الإخوان خارج حماية الأمير ونفوذه. إذ قضيت وقتاً عصيباً في منطقة الإحساء ، حيث يسمع الشخص مرة بعد أخرى عندما يمر بأحد الإخوان همهمة وتنهد في نفسه ، وهو يقول (لا حول ولا قوة إلا بالله)... الخ. وفي الوقت نفسه انك لا تحمل فكرة سيئة عنهم ، بل العكس صحيح ، انك تشعر بالشفقة على هؤلاء الرجال البسطاء ، لان تعصبهم لا يتصف أولاً بالعدوانية ، وثانياً يشعر الإنسان بالرغبة العميقة في العيش بحياة طيبة تستوعب كل الأفكار.

ط- وإذا نظرنا للأمر من الناحية العملية ، فان كل البدو في منطقة نجد هم من الإخوان ، وكانوا يرتدون لباس الرأس (يقصد العقال) ، باستثناء القلة القليلة منهم الذين تربوا على المبدأ حديثاً ، وكذلك القليل من سكان المدن. وقد سألت بعض رجال ابن جلوي القادمون إلى العقير لمقابلتي إن كانوا من الإخوان ، فأجابوا بالطبع ، إلا إننا لمدة ما قد نزعنا العمامة.

ي- وفي الإحساء مُنع الشيعة من التدخين حتى في بيوتهم ، أو ممارسة (القراية) في الحسينيات ، إذ أن عدم طاعة القواعد والتعاليم السائدة آنذاك يعرض صاحبها إلى أقسى أنواع العقوبات ، فقد قتل الكثير من الشيعة في الماضي من قبل الإخوان. إلا إن الأمور الآن قد تغيرت وأخذ الشيعة يتمتعون بالحرية والحماية الكاملة شريطة الإقلاع عن التدخين ، وعدم تناول الكحول ، والالتزام بقوانينها (مبادئ حركة الإخوان). وعلى العموم فان حالتهم ووضعهم أفضل مما كان تحت السيطرة العثمانية ، لان البدو مسؤولين الآن عن حمايتهم ، بينما كانوا في العهد العثماني لا تعد حياتهم ملكاً لهم ولا

ممتلكاتهم وخلال الخمس سنوات الأخيرة ازداد الازدهار والانتعاش في الإحساء بمقدار (100%).

ك- وإلى عهد قريب كانت مسألة إبدال العقيدة بالقوة إحدى فقرات الإيمان بين الإخوان ، وان طريقتهم هذه هي التي أدت إلى نشر الذعر والخوف بين السكان في الحجاز والأقطار المجاورة. وبهذا الصدد قال لي ابن سعود انه لا يرضى بهذه الأفعال البتة من بدايتها ، إلا انه لم يتمكن من إيقافها حتى نهاية عام 1919م. وتم الآن ترك كل أساليب الإكراه الديني ، ونشر العقيدة بالقوة وبحد السيف. إذا اصدر ابن سعود قبل ستة أشهر كما قيل لي إن مثل هذه أوامر مشددة بصدد هذا الموضوع. واخذ يشرح في المجلس – يقصد ابن سعود – إن مثل هذه الأعمال لا تؤدي إلا إلى إثارة سخط الرب والأمم الصديقة لنجد. وقال لي ابن سعود انه اجبر على تنفيذ حكم الإعدام بعدد من الإخوان لعدم إطاعتهم لأوامره في هذا المجال ، وأصبح الإخوان بذلك أفضل وأكثر طاعة بمقدار (90%) مما كانوا عليه قبل سنين ، وأخذوا يخطون خطوات كبيرة يومياً ، وبدأت تظهر العناصر المتمدنة بينهم. ويأمل أن تساعد هذه الأمور على تغيير طباعهم كلية خلال السنوات القليلة القادمة مثل تغيير الدين بالقوة [31].

قال ابن سعود إن شعبه يتمتع بأفضل أشكال الديانة النقية من الشوائب في العالم الآن. وكل الذي حدث إن هذا الدين قد أثر في قلوب الناس وحشية وجهلاً ، وعلينا أن نقدم دينهم الجديد بصورة جميلة وتدريجية ، وليس بطريقة مفاجئة وسريعة. ويأمل – ابن سعود – بان تبقى نقاوة الدين خالدة لا تتغير ، ومن الطبيعي إن الناس الذين لم يسبق لهم أن يسمعوا بالتعاليم البسيطة للقرآن أن يصابوا بالذهول في البداية. وأكد لي ابن سعود إن (90%) من سكان نجد كانوا من الجهلة في الماضي إلى درجة بحيث إنهم لم يسمعوا بالدين إلا بعد إحياءه. وكانوا لا يعرفون التعاليم الدينية الصحيحة مثل عقد الزواج ، وكذلك لا يعرفون الختان.

نظام الحكم السعودي وعلاقته بالإخوان

1. الإدارة :

تنقسم المناطق الخاضعة إلى نفوذ ابن سعود إلى أقاليم ومقاطعات ، ويحكم كل واحدة منها ما يعرف بالحاكم أو الأمير ، وواجبه حفظ النظام وجمع الزكاة. وتتمتع كل مدينة في الإقليم بحكم ذاتي ، ولها أميرها الخاص ، وهو مسؤول عن حفظ الأمن والقانون في داخلها وخارجها.

2. الجانب القضائي :

يعد قانون الشريعة الإسلامية هو القانون الوحيد المعترف به في أقاليم ابن سعود في الوقت الحاضر (1920) ، ويعامل الإخوان والنجديين والحساويين على قدم المساواة. ويعين في كل مدينة كبيرة قاض ، ويقوم أمير المدينة أو المنطقة كلما تطلب الأمر – بإرسال كل الدعاوى للبت فيها من قبل القاضي – ويقوم الأخير بإصدار الأحكام على وفق نص القانون كاملاً ، وينظر الأمير في تنفيذ مثل هذه الأحكام. ولما كان ابن سعود هو سلطان نجد ، فانه يستطيع

التدخل في أحكام الشريعة ، وأنه يقوم بذلك بوصفه هو السلطان. وإذا نصت الأحكام على قطع الأطراف ، يتم بذلك تنفيذ الحكم عادة في مكان عام وهو (السوق) ويتم تطبيقه في يوم الخميس بمنطقة الهفوف ، ويبقى الطرف المقطوع من جسد المجرم اثنتي عشرة ساعة في ساحة السوق لمشاهدته من قبل المارة (الناس).

3. القوانين القبلية والعرف القبلي :

لا يعترف ابن سعود وقضائه بالدخلاء أو نظام الالتجاء ، والفصل ، أو المبالغ المدفوعة لقاء إزهاق الأرواح (يقصد بها دفع الدية) [32].

4. الوضع العسكري :

يحتفظ ابن سعود بجيش نظامي صغير تدفع له رواتب منتظمة ، ولكل مقاطعة حاميتها ، ويسيطر هؤلاء الرجال على النقاط الإستراتيجية الرئيسية ، وكل مقاطعة تتمسك بأوامر الحاكم. وكان لابن جلوي في الإحساء (700) رجل لحفظ الأمن ، وهم موزعون كما يأتي : (500) رجل للهفوف ، و (200) رجل للمبرد Mubarrad ، وهذه القوات النظامية نصفها يمتطي الجمال ، والنصف الآخر مشاة. وتعتمد قوة ابن سعود على قوات الإخوان (أبناء البادية) وعددهم (300000)ألف رجل حسب تقديره. ويمكن تعبئة هؤلاء خلال مدة قصيرة في حالة الحرب ، مثل الحروب ضد الشريف حسين بن علي [33].ويتم التدريب على إطلاق النار من البنادق بانتظام تحت إشراف حاكم المقاطعة ، ويشجع الأفراد على القيام بمباريات خاصة. والبنادق المستخدمة من قبل الجيش النظامي كلها ذات مخزن واحد ، وسبطانة صغيرة نوع (موزر)Mauzer على الأكثر. أما سكان البادية ، فيملكون كل أنواع البنادق على الرغم من أن أكثر الأسلحة ذات سبطانة صغيرة. وقد رأيت الكثير من بنادق (الموزر) قياس (30.3) وكذلك بينها بنادق المانلشر Manlicher.

5. العوائد والدخل :

يتحمل حكام الأقاليم مسؤولية جمع (الزكاة) و (الميري)[34] من السكان المستقرين. أما في الوقت الحاضر ، فان ابن سعود يقوم بنفسه جمع (الزكاة) من الإخوان سكنة المدن ، ومن رعاة الأبل ، ولا يسمح لأي شخص غيره بالتدخل في هذه القضية ، وهذا الأسلوب انتهجه هو ، إذ يتجول في مناطق سكن الإخوان مرة كل ثلاثة أشهر ، ويواصل الاتصال بقادتهم. وقال لي ابن سعود أن الدخل الذي يجبيه لا يسد نفقاته ، ولا يعرف ماذا يصنع لو قررت حكومة جلالة الملك (الحكومة البريطانية) تقليص المعونة المالية [35]. فانه يعتقد بأنه سيضطر إلى الخروج عن القانون مرة أخرى. غير انه قد حسن من طريقة فرض الضرائب وموقفه المالي بشكل سريع. إلا أن الوقت ما زال بعيداً لكي تكون له ميزانية خاصة به. إن مستقبله (أي ابن سعود) يقع في مينائي (العقير) و (جبيل) ، من خلال الضرائب المستحصلة منهما. ويود أن لا يشجع تماماً

البضائع القادمة من الحجاز ، لأنه لا يحصل على فائدة منها ، إلا انه يأمل من المينائين الجديدين على ساحله الشرقي ، ومن الإدارة الجيدة للكمارك سيساعدانه على الحصول على (40) لك Lakhs روبية سنوياً [36]. إلا إن الوقت لم يحن بعد ، إذ في الحقيقة إن القبيلة التي تدفع الزكاة يمكن أن تطالب بالحماية الكاملة ضد كل الأعداء ، ولذلك ترغب القبائل في عمان والساحل واليمن وشمر لدفع الضريبة بهدف ضمان حمايتها ضد الهجمات (يقصد هجمات القبائل الأخرى).

الهوامش

1. أصل هذا البحث مذكرة بريطانية بعنوان (ملاحظات حول حركة الإخوان) ، دونت في مايس 1920 بقلم أ.ج.أر.بي.ديكسون. والأخير هو (Lieutenant Colonel Harlod Richard Patrick Dickson) المقدم هارلود ريجارد باتريك ديكسون (1881-1959) دخل الجيش عام 1903 ، وخدم في العراق عام 1914م ، ثم نقل إلى القسم السياسي في عام 1915 ، وعين حاكماً سياسياً للناصرية للمدة 1917-1919 ، ووكيلاً سياسياً للبحرين للمدة 1919 – 1920 ، ومستشاراً لمتصرف لواء الحلة للمدة 1921-1923. ثم صار سكرتيراً خاصاً (لمهراجا باكنر) Bikaner في عام 1927 ، وسكرتيراً خاصاً للمقيم السياسي في الخليج العربي للمدة 1928 – 1929. وأصبح وكيلاً سياسياً في الكويت للمدة 1929-1936. وكذلك في عام 1941. وبعدها عين موظفاً في شركة نفط الكويت. ينظر (Peulope Tuson , British Policy in Asia , India , Office Memoranda , First Published , 1980,P.15).
2. عرف (ابن سعود) بهذا الاسم في الوثائق البريطانية ، وهو عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل بن تركي (1901-1953). على اثر تمكن آل رشيد من دخول الرياض عام 1883 وإنهاء حكم آل سعود لها ، انتقل عبد العزيز ووالده للإقامة في الإحساء ، ثم انتقلا منها إلى قطر ، وبعدها أقاما في الكويت بموافقة السلطات العثمانية. ونظراً لسوء العلاقة بين آل رشيد والقبائل المعارضة في نجد في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي ، دفع هذه القبائل إلى استدعاء عبد الرحمن بن فيصل ليتزعمها ، فاستغل ولده عبد العزيز هذه الظروف وأغار على الرياض. وتمكن من دخولها عام 1901 م ، إلا انه انسحب منها في العام نفسه ، ثم عاد إليها في العام التالي بقوة أكبر وتمكن من السيطرة عليها ، وأنشأ حكومته فيها. ينظر للتفاصيل :

H.st.John Philby , Saudi Arabia , Published by Arnest Bennltd , (Britain 1955), p.230.

- جمال زكريا قاسم (د) ، الخليج العربي ، دراسة لتاريخ الإمارات العربية ، 1840-1914 ، ط2 ، الكويت ، 1974 ، ص300-301.

3. ويرى الباحثان ، إن ابن سعود ربما كان لا يرغب لجماعته الاتصال بالغرباء والأجانب، لكي لا يتأثروا بأفكارهم أو وجهات نظرهم ، أو قد يتم إغرائهم بالمال أو وسائل أخرى ، فيؤثر ذلك على سلوكهم وطباعهم ، وبالتالي قد يؤثر ذلك على مقدار ولائهم وطاعتهم إليه.
4. يلاحظ هنا إن المستر ديكسون يحاول جمع معلوماته بشأن حركة الإخوان عبر أكثر من مصدر ، وذلك لصعوبة الحصول عليها من مصدر واحد معين قريب من ابن سعود ، هذا فضلاً عن رغبته في تنوعها لغربلة الغث من السمين منها. ولم يتورع ديكسون – شأنه شأن الجواسيس البريطانيين – في أتباع أسلوب الجاسوسية والمخبرين في الحصول على ضالته من المعلومات. وهذا ما جبل عليه الأجانب بصورة عامة. والانكليز بشكل خاص في المناطق العربية والإسلامية. وبإتباع شتى الوسائل المغرية (المال ، الخمر ، النساء) منذ مطلع القرن السادس عشر الميلادي. وهذا ما يعزز رأينا آنف الذكر.
5. يتضح هنا ، إن صاحب المذكرة قد ميز بين حركة الإخوان والحركة الوهابية ، في حين أنهما وجهان لعملة واحدة ، إذ إن الإخوان هم الجناح العسكري للحركة الوهابية ، الذي يقوده ابن سعود بهدف تثبيت أركان حكمة تحت ستار أفكار ومعتقدات الوهابية المتعصبة العنصرية. وبهذا نجد إن ابن سعود يسير على هدي خطوات جده محمد ابن سعود الذي عقد تحالفاً مع محمد بن عبد الوهاب زعيم الوهابية ، محققاً رغبتهما معاً ، بتأسيس دولة في نجد، عاصمتها الدرعية وبمباركة بريطانية ، التي قضى عليها إبراهيم باشا نجل محمد علي باشا حاكم مصر في عام 1818.
- للتفاصيل أنظر : سيار كوب الجميل (د) : تكون العرب الحديث ، ط1 ، الموصل ، 1991 ، ص309-313.

6. منذ أن انتزاع ابن سعود الحكم من آل رشيد في الرياض عام 1902 ، احتفظ هو برئاسة الحكومة وقيادة الجيش ، وترك لأبيه عبد الرحمن لقب الإمامة. ومنذ ذلك الحين أخذ يعرف ابن سعود بلقب (حاكم نجد) أو (الحاكم). انظر : محمد جواد مغنيه ، هذه هي الوهابية ، ط2 ، بيروت ، 1993 : ص105 ، وبهذا الصدد تشير وثيقة بريطانية إلى انه (يطلق على ابن سعود بالنسبة للبريطانيين لقب صاحب السعادة أو صاحب الشرف أمير نجد أو الأقسام الوسطى في شبه الجزيرة العربية. ويطلق عليه في الأقاليم التي يحكمها لقب الإمام من قبل الرجال المحترمين ، أما البدو فيطلقون عليه عادة عبد العزيز أو الحكام (جمع حاكم). وفي الرياض قد يحصل فرصة لإساءة فهم إطلاق لقب الإمام عليه ، لان هذه اللقب يخص أبيه عبد الرحمن ، ولم يقبل ابن سعود أن يطلق عليه لقب الأمير لان هذا اللقب يطلق عادة في الريف على رؤساء المدن والقرى ، وهو يفضل اللقب الرسمي (حاكم نجد). أنظر :
1.0.B286,p6. Ibn Suud, Notes by colonel Hamilton , Political Agent , Kuwait , based on conversation at Riyadh in November 1917.

7. ابن جلوي : هو عبد الله ابن جلوي ، من الإتباع المقربين لابن سعود ، وقد بادر إلى قتل عجلان وأفراد حاميته أثناء هجوم ابن سعود على الرياض عام 1902 ، وكان أميراً على منطقة القصيم ، وعند احتلال العثمانيين القطيف واعتدائهم على السكان هناك عينه ابن

سعود أميراً عليها ، فساد الأمن فيها بعد ذلك. أنظر : ((نظرة في الإحساء)) ، مجلة لغة العرب ، الجزء الأول ، السنة 3 ، تموز 1913، ص40 ؛ ومحمد جواد مغنية ، المصدر السابق ، ص105.

8. يظهر إن ذهاب (الإخوان) إلى مكة يحدث مشاكل معينة تتمثل بتعصب هؤلاء تجاه بعض عقائد الإسلام في مكة ، فينعكس هذا على العلاقات بين أمراء الحجاز وابن سعود. فكان الأخير يخشى هذا الأمر ، لأنه كان بأمس الحاجة إلى الاستقرار بهدف تثبيت أركان حكمه.
9. يعتقد صاحب المذكرة إن أفكار حركة الإخوان ، والتي هي تجديداً للحركة الوهابية ، مستوحاة من المدرسة السلفية التي أشرف عليها الإمام احمد ابن حنبل الخلافة العباسية ، إلا إن الحقيقة غير ذلك. إذ إن الوهابية جاءت تطبيقاً عملياً لأفكار ابن تيمية المتطرفة ، التي ظلت في بطون الكتب لعهد طويل حتى أحياها محمد بن عبد الوهاب. إلا أن الأخير درس الفقه الإسلامي على مذهب احمد بن حنبل.
10. شكلت الحركة الوهابية آنذاك خطراً كبيراً على نفوذ العثماني ، في منطقة المشرق العربي بسبب سيطرتها على وسط شبه الجزيرة العربية ، ومنطقة الحجاز ، وتوجهها نحو بلاد الشام. وأطراف العراق الغربية ، وعرقلتها لسير القوافل التجارية والحجيج القادمين من مصر والشام والعراق ، وحرمانها الباب العالي من موارد مادية مهمة جداً ، هذا فضلاً عن تخوف العثمانيين من سيطرة الوهابيين على الحرمين الشريفين في مكة والمدينة ، فتفقد الخلافة العثمانية هيبتها في العالم الإسلامي ، لاسيما وان المسلمين قد ضاقوا ذرعاً من تعسف الوهابيين وتطرفهم ، بسبب إجبارهم الناس على قبول أفكارهم المتطرفة بالقوة، وإتباعهم أسلوب النهب والسلب للأموال والممتلكات ، وعدم تورعهم عن قتل الشيوخ والنساء والأطفال. مما دفع السلطان محمود الثاني (1808-1839م) للاستعانة بوالي مصر محمد علي باشا – الذي كان يمتلك جيشاً قوياً – فلبى الأخير نداء السلطان ، بهدف تحقيق طموحه بتكوين دولة حديثة تضم أطراف المشرق العربي ، وقلقه من النفوذ البريطاني في منطقة الخليج العربي. فأرسل ابنه إبراهيم باشا بجيش كبير ، تمكن به من دحر الوهابيين واحتلال عاصمتهم (الدرعية) في عام 1818م. أنظر : عبد الرحمن (د) تاريخ العرب الحديث والمعاصر ، ط2 ، القاهرة ، ص79-90.
11. الإخوان : اشتقت هذه الكلمة من نظام (المؤاخاة) في الإسلام الذي عمل به الرسول محمد (ص) بعد هجرته من مكة إلى المدينة المنورة ، إذ آخى بين المهاجرين والأنصار. وظلت كلمة الإخوان خالدة في قلوب المسلمين ، حتى أطلقها جماعة ابن سعود على أنفسهم ، وهم سكان الهجر التي أقامها ابن سعود ، ويمثلون نواة الجيش شبه النظامي الذي اعتمد عليه ابن سعود في إقامة دولته. أنظر : زاهية قدورة ، شبه الجزيرة العربية وكياناتها السياسية ، بيروت ، (د.ت) ، ص51 ؛ صادق حسن السوداني ، جماعة الإخوان ، جيش ابن سعود النظامي ، مجلة الخليج العربي ، العدد 10 ، مركز دراسات الخليج العربي ، 1978 ، ص100.
12. الارطاوية : وهي أول مدينة (هجرة) أسست للإخوان في عام 1912 على آبار الارطاوية ، وسكنها سعد بن مثيب من حرب ، ولم يكن فيها قبل التأسيس داراً واحدة ، بل كانت مورد ماء من موارد نجد الشمالية الشرقية ، وتقع شمال شرق الزلفى على الطريق من

الكويت إلى القصيم. وأعطيت لفيصل بن سلطان الدويش وجماعة من مطير بعد أن وافق الدويش على الانضمام لحركة الإخوان. وخلال بضع سنوات بلغ عدد سكانها 20 ألف نسمة تقريباً ، ودورها ترنو على 4 آلاف داراً. أنظر : طالب محمد وهيم (د) ، وآخرون ، تاريخ الوطن العربي المعاصر ، جامعة الموصل ، 1986 ، ص252 ؛ صادق السوداني ، المصدر السابق ، ص105 ؛ (الاستقلال) (جريدة) ، العدد 1262 ، 18 كانون الثاني 1928.

13. إن هذا الموقف الذي تعرض له مزعل باشا من صديقه القديم الشيخ عبد الكريم المغربي – الزعيم الروحي للإخوان - يؤكد عقم أفكار الوهابية وتناقضاتها مع ما جاء به الإسلام من مبادئ سامية تدعوا إلى المحبة والتعاون على البر والتقوى بين المسلمين ، والابتعاد عن الإثم والعدوان ، إذ كيف ينعت الشيخ عبد الكريم زميله المسلم مزعل باشا بالشرك والكفر.
14. هذا يؤكد أن ابن سعود لم يكن مؤمناً بأفكار الوهابية ، بقدر ما كان مضطراً لقبولها ، خشية من تعاظم نفوذها ، وامتصاص زخمها ، والإفادة منها في دعم نفوذه السياسي في كل أنحاء شبه الجزيرة العربية تحت الغطاء الديني. وقد تمكن فعلاً بمرور الزمن من ترويض هذه الحركة وتحويل نشاطها إلى الجانب السياسي.
15. تعرف هذه المدن باسم (الهجر) ومفردها (هجرة) أقامها ابن سعود منذ عام 1911 لتوطين البدو الذين انظموا للحركة الوهابية ، وسميت بهذا الاسم لان من سكنها هجر حياة الجاهلية إلى حياة الإيمان ، وهجر حياة البداوة والترحل إلى حياة الاستقرار والتحضر. أنظر : صلاح العقاد ، جزيرة العرب ، ص10 ؛ صادق حسن السوداني ، المصدر السابق ، ص101 ، هامش (13).
16. كان هدف ابن سعود من وراء توطين القبائل البدوية هو تكوين مدن آهلة بالسكان تصلح كمقرات إدارية ضمن الهيكل الإداري لدولته الحديثة ، هذا فضلاً عن ضبط سلوكهم وإبعادهم عن سبيل الغزو والتنازع ، ومراقبة تحركاتهم وتحصيل الضرائب منهم.
17. كانت قبيلة عجمان تعيش قريباً من السواحل ، وكثيرة التنقل بين الأقاليم الساحلية ، وتحظى بدعم الانكليز ، مما أصبح من الصعب على ابن سعود إجبار أفراد القبيلة ورؤسائها من الانقياد إليه ، إلا بعد مضي وقت طويل ، وبالوسائل السلمية.
18. كان الهدف الحقيقي لابن سعود في إقامة القبائل – التي تنضوي تحت جناح حركة الإخوان – في مدينة الرياض ، هو وضعهم تحت مراقبة ، وجعلهم في قبضته ، فيمكنه ذلك من توجيه قبائلهم لخدمة أفكاره ، وتحقيق مطامحه السياسية الرامية إلى تثبيت أركان حكمه وتوسيع سلطانه مستقبلاً على حساب المناطق الأخرى في شبه الجزيرة العربية.
19. ويقصد هنا ترتيب صفوف المسلمين وتراصفهم ، وأداء حركاتهم في الإقامة والركوع والسجود بشكل موحد مقتدين بالإمام الذي يتقدمهم ضمن (صلاة الجماعة). وهذا من المؤكد شيء يثير الفضول واستغراب ديكسون – لأنه لم يعهد مثل هذا النوع من مراسيم الصلاة في ديانته النصرانية.

20. على ما يبدو إن السيد ديكسون كان يخمن خطر حركة الإخوان في إمكانية توظيف المغالاة لدى أعضائها عن طريق إعلان الجهاد لخدمة أغراض سياسية غاشمة ، تسهم في مد نفوذ الحركة إلى مناطق أخرى في شبه الجزيرة العربية أو غيرها. وهذا بالفعل ما كان يسعى إليه ابن سعود وحلفائه زعماء هذه الحركة. باستغلال الجانب الديني فيها للتأثير على الرأي العام ، وتحقيق مآربهم السياسية بتكوين دولتهم المنشودة (دولة آل سعود).
21. لم يأت الإخوان (الوهابية) بشيء جديد في مجال الوحدانية ، لان الإسلام اقر ذلك وضمناً في القرآن الكريم والسنة النبوية ، كما أنهم كانوا يرون إن جميع المسلمين – عداهم – قد فسروا التوحيد تفسيراً خاطئاً ، وفهموه فهماً لا ينطبق على الواقع ، ولا يخرجه عن حقيقة الشرك ، وعملوا بما فهموا ، إذ إن جميع المسلمين – من وجهة نظرهم – مشركون من حيث لا يدرون ولا يشعرون. أنظر : احمد أمين ، زعماء الإصلاح في العصر الحديث ، بيروت ، (د.ت) ص11-12 ، وضمن هذا السياق نجد (الوهابية) يؤمنون بطاعة الإمام (إمام حركتهم) ، وان الإمامة لديهم تقر بالنص ، فلماذا إذن ينكرون ذلك على الشيعة ويكفرونهم ، الذين يؤمنون بإمامة أهل بيت النبوة ، الذي نص عليهم القرآن والرسول محمد (ص).
22. وبهذا الصدد قال محمد بن عبد الوهاب زعيم الوهابية عن النبي محمد (ص) : ((انه مجرد طارش ، وانه مات ولم يبق فيه أي نفع)). وهنا نقول للإخوان (الوهابية) أين هذا الكلام من ذكر أسم محمد (ص) مقروناً باسم الله تعالى على المآذن والمنابر. ويحتج بقوله وعمله في كل مجال أو ميدان في الشريعة الإسلامية ، لان ميراث المسلمين ودستور عملهم هو القرآن والسنة الشريفة. وأين قولهم بأن النبي (ص) قد مات وليس له أي أهمية أو نفع من وقوله تعالى : ((وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى)) ، وقوله تعالى : ((فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ)) ، وقوله تعالى : ((مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ)). وقوله تعالى : ((لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً)). وأيضاً أي معنى لقوله تعالى : ((إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً)). ومن ثم إن الله سبحانه وتعالى كان يبعث الأنبياء والرسل للناس رحمة منه ولطفاً بهم ، مثلما في قوله تعالى : ((رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ)) ، وينذرهم بما فيه صلاحهم وسعادتهم.
23. وبهذا الشأن نجد (الوهابية) يكفرون (الشيعة) ويحللون قتلهم ، وسلب أموالهم ، واستحياء نسائهم بسبب موالاتهم لأهل بيت رسول الله (ص) ، بيت النبوة ومعدن الرسالة ، الذين خصهم الله تعالى في محكم كتابه بالطهارة بقوله تعالى : ((إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً)). وأمر المسلمين بطاعتهم ، كما في قوله تعالى : ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ)). وكذلك خصهم الرسول (ص) بوراثتهم لعلم النبوة بعد القرآن المجيد ، بقوله : ((إني تركت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما أن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً ، الثقلين ، واحدهما اكبر من الآخر ، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض ، وعترتي أهل بيتي ألا وأنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض)) وهنا نجد (الوهابية) يتقاطعون مع

مبادئ الدين الإسلامي الحنيف الذي لم يحلل إلا قتل المشركين ، كما أنهم يكفرون (الشيعة) ويحللون قتلهم دون سواهم من بقية المسلمين ، بسبب بغض (الوهابية) لائمة أهل البيت ، علماً أنه تواتر عن النبي (ص) : ((أن حبهم علامة الإيمان ، وأن بغضهم علامة النفاق ، وأن من أحبهم أحب الله ورسوله ، ومن أبغضهم أبغض الله ورسوله)). أنظر : محمد رضا المظفر ، عقائد الأمامية ، بيروت ، 1966 ، ص323.

24. ويقصد (الأخوان) هنا قبب وأضرحة أئمة أهل بيت الرسول عليهم السلام ، إذ أن من تعاليم (الوهابية) هدم هذه الأضرحة ، ونهب ما فيها تحت ذريعة (خير القبور الدوارس) ، ولكن لا يعلم (الوهابية) مدى الفوائد الدينية ، والاجتماعية لزيارة هذه القبور ، مما جعلها تستحق العناية من الأئمة أنفسهم ومن المسلمين عامة. فإنها في الوقت الذي تزيد من رابطة الولاء والمحبة بين الأئمة ومؤيديهم ، وتجدد في النفوس ذكر مآثرهم وأخلاقهم وجهادهم في سبيل الحفاظ على بيضة الإسلام ، تجمع في مواسمها المسلمين من شتى بقاع الأرض ، ليتعارفوا ويتآلفوا ، وتطبع في قلوبهم روح الانقياد إلى الله تعالى ، والانقطاع إليه ، وطاعة أوامره ، وتعريفهم بحقيقة التوحيد ، والاعتراف بقدسية الإسلام والرسالة المحمدية. وكل ذلك يتم عبر آداب الزيارة من إقامة الصلاة ، والقول بالأدعية المأثورة ، تقرباً إلى الله تعالى وسعياً لعبادته لا سواه ، مثلما ورد في الدعاء الذي يقال بعد صلاة الزيارة : ((اللهم لك صليت ، ولك ركعت ، ولك سجدت وحدك لا شريك لك ، لأنه مني زيارتي وأعطني سؤالي بمحمد وآله الطاهرين)). وهنا يؤكد إن زيارة المسلمين لهذه المراقد الشريفة تعزز الروح الإيمانية لديهم بوحدانية الخالق وعظمته ، على عكس ما يتصوره الوهابية.

25. يعتبر (الإخوان) التدخين من الذنوب الكبيرة (الكبائر) وبذلك يحملون معظم الناس كبائر الذنوب ، بينما لا نجد في الإسلام ما يحرم أو ينهي عن التدخين ، عدا ما يذهب العقل كالأفيون والحشيشة ، كما أن في الوقت الذي يمنع فيه (الإخوان) شرب الكحول باعتباره من الذنوب الكبيرة ، فان الإسلام يحرمه بشكل قاطع. وبهذا الصدد نجد أن محمد بن عبد الوهاب (زعيم الوهابية) يأمر الناس بالمعروف ولا ينهى نفسه عن المنكر ، إذ انه كان يشرب الخمر حتى الثمالة ، ويعاشر المومسات المسيحيات واليهوديات تحت ستار (زواج المتعة). أنظر : مذكرات مستر همفر – الجاسوس البريطاني في البلاد الإسلامية ، ترجمة الدكتور ج.خ ، بيروت ، 1973 ، ص36-40.

26. يتفق الإخوان أو الوهابية في هذا الجانب مع المسيحية بظهور شخص ينقذ العالم من الظلم والفساد ، وهو السيد المسيح عليه السلام ، وبذلك يتقاطعون مع ما ورد في الإسلام خاتم الأديان والرسالات السماوية ، حيث تواتر في أحاديث الرسول (ص) ، والتي سجلها المسلمون على مختلف مشاربهم ، إن هذا المصلح والمنقذ من الفساد والظلم هو إمام من ولد السيدة فاطمة بنت الرسول محمد (عليهم السلام) ، ويعرف بالحجة المهدي ، يظهر في آخر الزمان ليملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً. ينظر : محمد رضا المظفر ، المصدر السابق ، ص332-335.

27. يرى هنا الوهابيون أو الإخوان أن البيوت يجب أن لا تكون أعلى من الكعبة في بيت الله الحرام ، كما إن من وجهة نظرهم يجب أن تكون القبور دوارس.

28. كان الإخوان يتعصبون لأمور تافهة ، إذ اعتبروا وضع (العقال) ترفاً اجتماعياً يجب تحريمه. أنظر : صلاح العقاد (د) ، المشرق العربي المعاصر ، مصر ، المطبعة الفنية ، 1970 ، ص558.
29. هناك تناقض بين الإخوان بصدد موضوع لبس العمامة ، إذ نجد البعض منهم يساير الأمير ابن سعود في لبس العقال أما خوفاً أو طمعاً ، بينما هناك آخرين يلبسون العمامة تيمناً بزعيم الحركة الوهابية محمد بن عبد الوهاب وهذا يؤكد افتقار الإخوان أو الوهابية لجانب المبدئية والموضوعية للإيمان الحقيقي سواء في مذهبهم أم في الإسلام. وبهذا الصدد تجدر الإشارة إلى ان لبس (العمامة) يعود إلى زمن الرسول الكريم (ص) عندما وضع (العمامة) على رأس الإمام علي (ع) في خطبة حجة الوداع (غدير خم) تتويجاً له وإيذاناً بولايته للمسلمين من بعده بأمر الله تعالى.
30. وهذا دليل آخر على تطرف حركة الإخوان أو (الوهابية) وخروجهم على تعاليم الإسلام السامية ، إذ نجدهم لا يردون التحية على أبناء جلدتهم من المسلمين في الإحساء والبحرين ، علماً أن الإسلام أقر التحية وردها نصاً ومضموناً في القرآن وأحاديث الرسول محمد (ص) ، كما في قوله : ((وَإِذَا حُيِّيْتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا)). وينطبق ذلك على المسلمين والملل الأخرى عدا المشركين. وتحية المسلمين هي (السلام عليكم) وردها (عليكم السلام ورحمة الله وبركاته).
31. وهذا دليل آخر يؤكد تعصب أفراد حركة الإخوان ، إذ أنهم لا يتورعون في استخدام شتى أنواع وسائل القوة لإجبار الآخرين على قبول أفكارهم في المناطق التي تطأها أقدامهم ، وهم بهذا لا يختلفون عن البرتغاليين الذين حاولوا فرض الديانة المسيحية على عرب الخليج بأرذل الوسائل. وقد تجلت عنصريتهم في هجماتهم المتكررة على أطراف العراق الغربية ، وخاصة مدينتي كربلاء والنجف المقدسة في العقود الأولى من العهد الملكي ، مستغلين ضعف حكومة العراق آنذاك وخضوعها للانتداب البريطاني ، ولم تتوقف غارات الإخوان على العراق إلا بعد عام 1930. وهذا يدحض ما أشار إليه ابن سعود ، بأنه لم يتمكن من إيقاف نشاطهم – الإخوان – حتى نهاية عام 1919. أنظر : عبد الرحمن البزاز ، العراق من الاحتلال حتى الاستقلال ، ط3 ، بغداد ، 1967 ، ص265.
32. على ما يبدو أن نظرة السيد ديكسون بشأن الأعراف القبلية في شبه الجزيرة العربية قاصرة وقتذاك ، إذ انه لم يعلم بان هذه التقاليد القبلية من أهم وسائل الضبط الاجتماعي التي تسهم في ضبط سلوك الأفراد في وسط المجتمع القبلي ، لاسيما إن إمارة ابن سعود كانت آنذاك تفتقر إلى مؤسسات قضائية رسمية واضحة المعالم. هذا فضلاً عن أن ابن سعود اعتمد منذ بداية تكوين دولته على قوة القبائل كمادة رئيسية لجيوشه التي استعان بها لتوسيع نفوذه في الأنحاء الأخرى لشبه الجزيرة العربية ، أو لصد هجمات أعدائه ، لذا من غير الممكن أن يقضي ابن سعود كلياً على التقاليد القبلية ، لان ذلك قد يؤجج القبائل ضده. ومن جانب آخر عدم اعتراف ابن سعود بهذه التقاليد والأعراف في محيطها القبلي شيء آخر. وضمن هذا السياق فمن المؤكد كان على ابن سعود أن يترك للتقاليد القبلية أن تأخذ مجالها بين أفرادها في البادية.

33. الشريف حسين بن علي ، هو أمير الحجاز للمدة (1908-1924). وقد استخدم ابن سعود قوات الإخوان في صد زحف الشريف حسين على أراضيه. وقوات الإخوان هم في الأصل قبائل بدوية قرر ابن سعود ابن سعود توطينها في الواحات وحول الآبار الارتوازية ، وفي القرى التي أنشأها لهذا القرض منذ عام 1911. وصارت تعرف هذه القرى باسم (الهجر) لان مستوطنيها هجروا حياة البداوة ، وتحلوا بتعاليم الإسلام السامية، وبهذا الصدد تنقسم قوات الإخوان إلى ثلاث فئات ، الأولى هي المجاهد الأول : وهو الذي تتكفل الدولة بتسليحه ، ويظل يحتفظ بسلاحه ، ويكون جاهزاً وملتزماً بتلبية دعوة الجهاد عندما يعلنها الحاكم ، والفئة الثانية هم (الجهاد مثنى) الذين يلبون الجهاد في الدعوة الثانية ، ويعرفون في العصر الحديث بـ (الرديف) أما الفئة الثالثة ، فتشمل جميع الذكور من سكان (الهجر) وهؤلاء يجب أن يلبوا دعوة الجهاد في حالة إعلان النفير العام من قبل علماء الدين وذلك بطلب من السلطان. أنظر : صلاح العقاد (د) جزيرة العرب في العصر الحديث ، معهد البحوث والدراسات العربية ، مصر ، 1969 ، ص10-11.

34. الزكاة : ضريبة فرضتها الشريعة الإسلامية على أموال المسلمين ، تؤخذ بمقدار (10%) على الربح المتحقق سنوياً من رأس المال. أما الميري ، فهي ضريبة حكومية تفرض – أغلب الظن – على الأراضي والعقارات والمواشي.

35. يقدر حجم المساعدات المالية التي يتلقاها ابن سعود من الحكومة البريطانية بخمسة آلاف جنيه إسترليني شهرياً. وهذا يؤكد مدى الترابط بين بريطانيا وابن سعود. أنظر : خير الدين الزركلي ، شبه الجزيرة العربية في عهد الملك عبد العزيز ، ج1 ، ط1 ، بيروت ، 1985 ، ص285.

وبهذا الصدد القى ابن سعود خطبة في مكة عام 1362هـ (1940م) قال فيها : ((ولا يفوتني في هذا الموقف أن أتمثل بأنه من لم يشكر الناس لم يشكر الله ، فأثنى على الجهود التي قدمتها الحكومة البريطانية بتقديم بواخر للحجاج ، وتسهيل سفرهم ، كما أثنى على مساعدتها ومساعدة الحلفاء القيمة ، ومتابعتهم تتميم تموين البلاد ، وما يحتاجه الأهالي من أسباب المعيشة وغيرها ، وكذلك لا بد من الإشادة إلى إن سيرة البريطانيين معنا طيبة من أول الزمن إلى آخره)). ينظر : محمد جواد مغنية ، المصدر السابق ، ص106.ويلاحظ هنا أن ابن سعود يقرن شكر الله تعالى بشكر الانكليز ، فيقول من لم يشكر الناس – أي الانكليز – لم يشكر الله ، فكيف ربط ابن سعود شكر الله تعالى بشكر الانكليز ، بحيث لا يقبل الأول دون الثاني. وبعد أن ضعف الانكليز حل محلهم الأمريكيون.

36. الروبية : عملة هندية جلبها الانكليز من الهند إلى منطقة الخليج العربي خلال العرب العالمية الأولى 1914 -1918 ، وتساوي الروبية (75) فلساً بالعملة العراقية وقتذاك ، وأصل هذه الروبية وأجزاءها من فضة ، أما أضعفها فهي من الورق (5 روبيات ، 10 ، 100) روبية. أما (الك) فيعني ألف روبية. أنظر : عباس العزاوي ، تاريخ النقود العراقية ، بغداد ، 1958 ، ص180.